

الأرض والدين توارثوا فلاحتها ، منذ اجيال ،
أبا عن جد ، فكانوا يجبرون على مفادرتها .
وكثيرا ما كان يرفض الفلاحون العرب المنازل من
أرضهم وبيوتهم ، فكانوا يعتصمون مع نسايتهم
وأطفالهم في الأرض ويقعدون فيها للحيلولة دون
استيلاء « الملاكين » الجدد عليها ، وعندئذ كان
الاعضاء الشبان في الكيبوتز الاشتراكي الذي يمتزم
انشاؤه في الأرض التي جرى استملاكها يسارعون
لطرد الخارجين على القانون المعتصمين في الأرض
وذلك بمعونة رجال الشرطة الانكليز واليهود .
واحيانا كانت تسيل دماء الفلاحين قبل ان تتم اعادة
استيلاء الامن .

٢ - غزو العمل : بعد ان يتامن استملاك الأرض،
كان المعتد الذي يوقع ، بين الملاكين الجدد للأرض
وهم المؤسسات الصهيونية وبين المزارعين الجدد
الذين سيقومون بفلاحة الأرض وهم اعضاء
الكيبوتز ، يتضمن مادة تمنع تشغيل العرب في تلك
الأرض سواء بالاستئجار او بالعمل اليومي
المأجور . وكان الشعار المعمول به هو : « في
أرض اليهودية وفي المشروعات اليهودية لا يستخدم
الا اليهود » . واذا حدث ان استخدم احد ملاكي
بيارات البرتقال اليهود بعض العمال العرب لانهم
أرخص اجرا ، كان قادة الهستدروت ، وهو اتحاد
العمال اليهود ، والكتاب والمعلمون يحتشدون عند
مدخل مثل هذه البيارة اليهودية التي يستخدم فيها
العرب ويكيلون الشتائم على « خونة الصهيونية
والامة اليهودية » الى ان يتم استبدال العمال
العرب بعمال يهود .

٣ - غزو الإنتاج والتجارة : تمثلت البوادر الاولى
لهذا الغزو في الشعار « على اليهود ان يشتروا
المنتجات اليهودية فقط » . وعندما كان احد بائعي
الخضر العرب يأتي الى تل ابيب ليبيع بضاعته كان
ينطلق حوله المنعصبون من الصهاينة فيقبلون عربته
على الأرض ويدوسون على بضاعته من الخضر
وسط اعجاب الجمهور الفوغائي بالعمل « القومي » .
وكان رجال الشرطة اليهود سرعان ما ينسحبون من
مكان الحادث ويتوارون عن الانتظار حتى يزعموا ،
ان سئلوا فيما بعد ، انهم لم يروا شيئا .

في تلك الحقبة من الزمن كان العالم الاوروبي المجنون
يستعد للحرب العالمية الاولى بأكثر الطرق دناءة وأخطرها
انسانية ، اذ كان الشباب جاهزا لتقبل الاتجاهات
القومية ولم يكن يدري بما هو افضل منها . اذ كانت

القومية السياسية يومها هي ديانة العالم ،
والصهيونيون بدورهم تشربوا افكار القومية
السياسية تشربا كليا صميما حتى غدت هي ديانتهم
- وليس ما كان يلقيه جدي في القدس - الالتزام
بالمثل الاخلاقية ، والنظرة الانسانية الشمولية ،
والتهذيب ، وحب الاخرين ، والتوبة . وكانت فكرة
التوبة هي اعظم الافكار ، وبطبيعة الحال ، كنا
نحن الصغار نقتني خطي الكبار . ولكن من حين
الى آخر ، وبينما كان جدي الذي نشأت في بيته
يحتضر ببطء ، كنت أتسلل خفية الى « بيت هاعام »
الكبير اي بيت الشعب حيث كان يلتئم شمل اليهود
الصهيونيين اللادينيين ليستمعوا الى المحاضرات
وهناك كان بن غوريون يستنهض هم ومشاعر
الناس حول « مينو » ، و « أرتسينو » و « مولادتينو »
اي « امتنا » ، و « أرضنا » ، و « وطننا مسقط
رأسنا » . وبطبيعة الحال ، كانت بلاغة الخطباء
تستهوي الناس ، غير ان اليهود الاصليين
الحيثيين الساذجين البرينيين لم يحفلوا بالدكتور
هرنسل وحركته ، ولكن بعد موته اسس زملاؤه
الجننازيوم العبري في تل ابيب الذي كنت من اوائل
طلابه وكانوا يدعونه « جننازيا هرزلن » وكنت من
أول دفعة تخرجت منه في عام ١٩١٣ ، وكنت قد
التحقت به في عام ١٩٠٨ ، بعد اربعم سنوات
او خمس في القدس القديمة حيث درست التلمود
ومبادئ الديانة اليهودية الاصلية .

ومنذ اليوم الاول الذي رايت فيه حياة اليهود
الطفيلية التشرذمية في فلسطين التي تدمى اسرائيل
الان ، والتي كانت اشبه ما تكون بحياة المرتزقة
اعتزمت السفر الى اميركا حيث اردت ان اذهب
لاعتد على نفسي في معيشتي واصبح انسانا
مستقلا ، ولكنني كنت يومها اقل من ستة عشر
عاما من العمر فلم يسمح لي بالسفر الى اميركا
بمفردي . وفي واقع الامر ، ركبت الباخرة من يافا
الى باريس محترما اكمال الرحلة الى اميركا ولكنهم
لم يسمحوا لي ، وكان على السلطات في يافا ان
تمنع سفري الى باريس ، ولكنني افترض انهم
سمحوا لي لان الرجل الذي اشترت تذكرة السفر
منه تقاضى عمولة مني وجعل المختصين يفضون
النظر عن كوني اقل من ستة عشر عاما من العمر ،
وعندما رجعت الى يافا ، وكنت يومها على مشارف
السادسة عشرة من العمر ، كانت الكوليرا تصعد
الناس حصدا في يافا ، اذ كانت تتسبب يوميا في